

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

انشغل النقاد العرب القدامى كثيرا بقضية السرقة لأنها تتصل بإبداع الشاعر وخصوصيته الفنية وأصالته ، لذا فقد وضعوا فيها مؤلفات ودراسات كثيرة ، وهذا ما دفعنا إلى التصدي لدراسة هذه الإشكالية النقدية بوجه عام ورسالة صاحب بوجه خاص . حيث سنعرض من خلال التمهيد إلى دراسة الاختلاف في نظرة النقاد إلى هذه القضية ، تبعا لعصر الناقد الذي يستجيب للمتغيرات التي تطرأ على مفهوم الأدب بصيغة عامة والشعر بصيغة خاصة ، وما يتبع ذلك من استجابة بيديها النقدة إزاء هذه الإشكالية .

ثم نكشف عن انقسام النقاد إلى فريقين في تعاملهم مع هذا المفهوم ، إذ اتسمت نظرة الفريق الأول بالتشدد ، فيما عمد الثاني إلى التخفف والتساهل حيال هذه القضية . وعلى الرغم من الميل إلى التساهل تارة والتشدد تارة أخرى ، فإننا نلاحظ أن الاتساع والتطور في الجانب التنظيري بدا واضحا في المرحلة الأخيرة لدى الفريقين كليهما . فبدأنا - على سبيل المثال - الحديث عن أنواع السرقة وتقسيماته وعمما يستحسن ويستقبح منه .

كذلك سنعرض إلى ذكر ما وضع من معان ودراسات تتصل بالحديث عما دار بين أشياع المتنبي وخصومه ، وكذلك عما قيل من سرقات المتنبي بما في ذلك الرسالة موضع البحث . وبعد ذلك سيعرض البحث إلى دراسة هذه الرسالة ، إذ نجد أن الجهد النقدي الذي تشتمل عليه ينقسم على قسمين ، هما نقد عام لا يتصل بالمتنبي ونقد خاص تمثل بما أخذه صاحب على المتنبي ومنه سرقاته .

التمهيد

تطور مفهوم السرقة من القرن الأول حتى القرن الخامس الهجري

مر مفهوم السرقة خلال هذه المرحلة التاريخية بثلاثة أحوال أو محطات رئيسية ،
اتسمت الأولى منها المتمثلة بالرواة واللغويين بالتشدد إزاء هذه الإشكالية ، وربما
يرجع هذا التشدد كما يرى محمد مندور إلى " إنها تتناول أهم ما تسعى إلى معرفته
الدراسات الأدبية ألا وهو أصالة كل شاعر أو كاتب ومبلغ دينه نحو من سبقه أو
عاصره من الشعراء والكتاب " (1) .

وقد سعى الجاحظ في هذا الاتجاه وهو يتحدث عن محاولة إغارة الشعراء على ما
يجدونهم لغيرهم من تشبيه مصيب ومعنى غريب أو بديع مخترع (2) .
أما المرحلة الثانية فأسس لها ابن قتيبة حين عدّه فنا لا سرقا ، فأخرجه من دائرة
الالتزام إلى دائرة الفن (3) .

وشاطر ابن طباطبا سابقه الرأي نفسه بقوله " وإذا تناول الشاعر المعاني التي سبق إليها
فأبرزها بأحسن من الكسوة التي عليها لم يعجب ، بل وجب له فضل لطفه واحسانه " (4) .

الا ان هذين الناقدين لم يحدثنا عن انواع السرقة وهل كان ذلك في اللفظ او في
المعنى وما الحسن والقيح منهما ، وما الى ذلك من تقسيمات وتفريعات المرحلة
اللاحقة .

أما المرحلة الثالثة فقد قامت على قول روادها بفكرة السرقة المحمودة المستظرفة ولم
يعد نقاد هذه المرحلة السرقة عيبا من عيوب الشعر الخطيرة ، يعضد ذلك كلام
الأمدي اذ يقول " وكان ينبغي أن لا انكر السرقات فيما أخرجه مساوي هذين
الشاعرين لاني قدمت القول من أن من أدركته من أهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون

1- النقد الملهي عند العرب ص358

2- ينظر الحيوان 96/3

3- ينظر النقد الأدبي في العصر المملوكي 370 . والشعر والشعراء ص13

4- عيار الشعر : 76

2- الموازنة 1/291

3- ينظر : الموازنة : 1/326-343

سرقات المعاني من كبير مساوي الشعراء ، وخاصة المتأخرين ، إذ كان هذا بابا ما
تعري منه متقدم ولا متأخر «(2) .

فضلا عن هذا فإن الأمدي لا يرى أن الاتفاق في الألفاظ باب من أبواب السرقة «(3)
وخصص أبو هلال العسكري مساحة اكبر للحديث عن هذه القضية ، فتحدث عن
الأخذ الحسن ، ذكرا ان الأديب قد يأخذ المعنى المنظوم
فيورده في كلام منظوم ، ويحصل العكس ، بأن يأخذ المعنى المنشور فيورده في
كلام منظوم (1) . ولم يتجاهل العسكري الحديث عن الأخذ القبيح واسبابه وأنواعه ،
كما لم يغفل أثر البيئة في توارد الخواطر التي تتيح اتفاق المعاني (2) .
وكان رأي الجرجاني موافقا لرأي الأمدي إذ انه ذهب إلى ابعده مما ذهب إليه صاحبه
حين تخطى فكرة القول أن الشعراء أخذ بعضهم من بعض إلى فكرة أن الأخذ عند
القدامي كان ظاهرا ، ولم يكن فيه غير اختلاف الألفاظ (3) .
وتنقسم السرقات عند الجرجاني إلى سرقات ألفاظ وسرقات معاني (4) .

وهكذا نخلص إلى أن آراء الأمدي وأبي هلال العسكري والجرجاني ، طبعت
بالتخفف والتساهل إذ ضيقوا نطاق موضوع السرقة ولم يطلقوه كما أطلقه السابقون
من النقدة .

1- بنظر الصائغين 175

2- بنظر الصائغين 225 وأبو هلال العسكري ومقاييس النقدة والبلاغية : 172-175 ، 183-185

3- بنظر الوساطة : 158

4- بنظر النقدة الادبي في العصر المملوكي 370 ، وأبو هلال العسكري ومقاييس النقدة والبلاغية 192 .

وننبه على أننا لا نعدم بعض المتشددین من النقاد تجاه الشعراء وشعرهم لا سيما المتنبی ، ومن أولئك الحاتمی وابن وکیع ، وننلمس ذلك فیما أورده ابن رشیق من نقد بازاء مصطلحات الأول المتصلة بالسرق إذ یقول " وقد أتى الحاتمی فی حلیه المحاضرة بألقاب محدثه تدبرتها لیست لها محصول إذا حققت كالاصطراف والاجتلاب والانتحال والاهتدام والإغارة والمرافدة والاستلحاق" (1).

وقال عن موقف الثاني من المتنبی " و أما ابن وکیع فقد قدم فی صدر کتابه علی أبي الطیب مقدمه لا یصح لأحد معها شعر إلا الصدر الأول - أن سلم ذلك كله - وسماه کتاب المنصف مثلما سمي اللدیغ سلیم ، وما ابعده الإنصاف منه" (2).

لكن موقف هذین الناقدین واضرا بهما لم تلق صدی فتشغل حیزا كتلك التي نادى بها النقاد الثلاثة المتقدمون. (3)

1- العمدة 2/ 280

2- العمدة 2/ 281

3- ينظر تاریخ النقد الادبی حین القرن الرابع المحرري 170-174 ، وينظر رسالة مفامة مسائل الانتقاد ولأبن شرف الفرداني - رسالة فنية نقدية من 91-93 .

١ (توطئة)

تمثل رسالة صاحب المعروفة بـ (الكشف عن مساوي شعر المتنبي) الجزء الأهم ولعله الوحيد الذي وصلنا من جهده النقدي ، لذا سيتركز البحث على دراسة هذا الأثر .

وكان الباعث على تأليف هذه الرسالة عدم التفات المتنبي إلى صاحب إذ تجاهله ولم يقد عليه فيمدحه ، بعد أن كان الأخير قد كاتبه للوفود عليه (1).

وهكذا كان لهذا الباعث الشخصي أثر بين في توجيه نقد صاحب للمتنبي إذ يروى في ذلك أن صاحب بن عباد طمع في زيارة المتنبي إياه بأصفهان واجبرأته مجرى مقصودية من رؤساء الزمان ، وهو إذ ذاك شاب والحال حويله ، والبحر وجيلة ، ولم يكن استوزر ، فكتب يلاطفه في استدعائه ويضمن له مشاطرة جميع ماله ، فلم يقد له المتنبي وزنا ولم يجبه عن كتابه ، وقيل أن المتنبي قال لأصحابه : إن غليما معطاء بالري يريد أن أزوره وامدحه ولا سبيل إلى ذلك ، فصيره صاحب غرضا يرشقه بسهام الوقعة ، ويتتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته ، وينعى عليه سيئاته ، وهو اعرف الناس بحسناته واحفظهم وأكثرهم استعمالا لها وتمثلا لها بها في محاضراته ومكاتباته (2) .

ويتضح من المقطع الأخير لهذا النص " وهو اعرف الناس بحسناته واحفظهم واكثرهم استعمالا لها وتمثلا ... الخ " ان صاحب مع تجنيه على المتنبي وتحامله

١- ينظر مقدمة المحقق لرسالة الكشف عن مساوي شعر المتنبي ص 19-20
2- بتيسر الدهر 1 / 100-101 ، الصبح ص 82 وينظر مقدمة محقق الكشف عن مساوي شعر المتنبي ص 19-20 وينظر النقد المنهجي ص 216

عليه كان من أكثر الناس أخذاً عنه وتأثراً به ، ومن ذلك فصل له من رسالة في وصف قلعه افتتحها عضد الدولة " وأما قلعة كذا فقد كانت بفية الدهر المديد والأمد البعيد ، تعطى بأنف شامخ من الميعة وتنبو بعطف جامح على الخطية ، ونرى أن الأيام قد صالحتها على الإعفاء من القوارع وعاهدتها على التسليم من الحوادث ، فلما أتاح الله للدنيا ابن بجدتها وأبا بأسها ونجدتها ، جهلوا بون ما بين البحور والأنهار ، وظنوا الأقدار تأتيهم على مقدار فما لبثوا أن رأوا معقلهم الحصين ومثوهم القديم نهزه الحوادث وفرصه البوائق ، ومجرى العوالي ، ومجر السوابق " وإنما ألم بألفاظ بيتين لأبي الطيب أحدهما :

حتى أتى الدنيا ابن بجدتها مشكا إليه السهل والجبل
والثاني قوله الآخر :

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجر عوالينا ومجرى السوابق
ويسترسل الدكتور مندور في إيراد فصول عديدة نقلها عن اليتيمة يؤكد فيها أو يستدل على أخذ الصاحب عن الممتبي (1)

زد على ما تقدم أن هذا النقد لم يستجب في كثير من الأحيان إلى معايير فنية حقيقية بل قام على غير قليل من التجريح والتحمل مع ان الصاحب يدعي الحرص على الموضوعية والإنصاف يقول " أما بعد أطل الله مدتك وأدام في العلوم رغبتك ، فالهوى مركب يهوى بصاحبه ، وظهر يعبر براكبه ، وليس من الحزم ان يزري

¹ ينظر اليتيمة جـ 1 ص 87 وما بعده والنقد المنهجي ص 216-218

العالم على نفسه بالمعصية ويضع من علمه بالحمية ، فالناس على اختلافهم وتباين اصنافهم متفقون على أن الأهواء طمس الآراء ، وان الميل عن الحق ييهم سبل الصدق (1).

والواقع أن صاحب في كلامه على سرقات المتنبى لم يلتزم مع مفهوم السرقة الذي حدده كثير من النقاد القدامى والمعاصرين أمثال الأمدي (2) والجرجاني (3) من القدامى ، والدكتور محمد مندور من المعاصرين ، إذ يحدد الأخير مفهوم السرقة مستندا إلى النقاد القدامى المعتدلين ، فقد أخرج منه ما أسماه ، نقلا عن الأمدي ما أسماه " الاتفاق ، التقاليد الشعرية ، الأقوال السائرة ، اختلاف الغرض ينفي السرقة " (4).

المبحث الأول النقد العام

توزع الجهد النقدي للصاحب في هذا الجزء على محورين ، أما الأول فيدور حول الشروط التي يجب أن يتوفر الناقد عليها ، وهي العلم والطبع أو الحس النقدي والابتعاد عن الهوى والأناة أو الروية قبل الحكم والدربة (٢) .

١- ينظر رسالة الكشف ص

2- ينظر المرونة 140 - 143 .

3- ينظر الوساطة 158 .

4- ينظر النقد المنهجي عند العرب ص 359 و 365 - 366

٢- ينظر الكشف عن مساوي شعر المتنبى ، ص 30 - 31 .

2- م . ن ، ص 32 .

فضلا عن ذلك فقد أضاف شرطا آخر لهذه الشروط كثيرا مانوه الشعراء به ، إذا ما دخلوا في مباحه أو خصومة أو مساجلة مع من يتعاطى النقد من اللغويين والرواة الذين يحفظون الشعر ولا يقولونه ، لاسيما المتشددون منهم في أحكامهم اتجاه الشعراء وشعرهم ، وهذا الشرط هو خوض الناقد للتجربة الشعرية (قرضة الشعر) ، إذ ذكر ذلك صاحب وهو يورد الرواية التي جرى الحديث فيها بين عبيد الله ابن عبد الله ابن طاهر وبين البحتري الذي فضل فيه الأخير أبا نواس على مسلم " فقال له عبيد الله إن احمد بن يحيى ثعلب لا يوافقك على هذا ، فقال (البحتري) أيها الأمير ليس هذا من علم ثعلب وإضرابه لانه ممن يحفظ الشعر ولا يقوله ، وانما يعرف الشعر من رفع إلى مضايقة " (2).

أما المحور الثاني فقد أقامه الناقد على ذكر العيوب والمآخذ التي على الشاعر ان يتفادها ، حيث كانت أول مسألة تناولها صاحب هنا ، عدم التكرار في اللفظ او المعنى وأهمية الجدة والابتكار في اللفظ أو المعنى ، ويبدو انه يتخذ من هذه الفكرة منطلقا للحديث عن السرقة إذ اصطنع للتدليل على هذه المسألة طريقة لا تخلو من الطرافة قامت على ايراد نص شعري ، قال صاحب أن أبا الحسن علي بن هارون المنجم قد انشده إياه وهو لعمه أبي احمد يحيى بن علي النديم :

رب شعر نقدته مثلما ينقد	رأس الصيارف الدينارا
ثم أرسلته وكان معانيه	وألفاظه معا أبكارا

إن خير الكلام ما يستعير الناس منه ولم يكن مستعاراً^(١)
وعرض صاحب إلى قضية أخرى هي التفاوت في شعر الشاعر باشماله على
الفاضر والردل^(٢) .

وقد أورد المرزباني رواية تتصل بهذه المسألة النقدية عن شعر بشار تقول " بشار
أستاذ المحدثين الذي عنه أخذوا ، ومن بحره اغترفوا ، وأثره اقتفوا ، يأتي من الخطأ
والإحالة ما يفوت الإحصاء مع براعته في الشعر والخطب ، وقد قيل
انه ينظم الشذرة ثم يجعل إلى جنبها بعة " ^(٣) .

ويقول الأمدي عن اضطراب شعر ابي تمام " وقد اجمعنا نحن وانتم - على ان ابا
تمام يعلو علوا حسنا وينحط انحطاطا قبيحا ، وان البحري يعلو ويتوسط ولا
يسقط " ^(٤) .

وروي الأمدي أيضا والصولي عن البحري قوله عن أبي تمام " جیده خير من جيدي
، وريئي خير من ريئه " ^(٥) .

ثم يستمر صاحب بعد ذلك بإيراد مآخذ أو سقطات تقع للشعراء الذين يتحتم عليهم
بالضرورة تجاوزها إذا ما أرادوا ان يستقيم لهم شعرهم ، وقد جاء ذلك في إطار ما
اسماه صاحب بالشذرات التي أخذها عن أستاذه ابن العميد ومن ذلك ضرورة
التطابق بين شطري البيت من حيث المعنى فضلا عن ضرورة التلاؤم والتجانس بين
حروف الألفاظ ، قال وهو يروي ما كان يدور من أمور تتصل بالنقد بينه وبين أستاذه
ابن العميد على لسان الأخير : " اعلم إن أحد ما يحتاج إليه في الشعر سلامة حروف
اللفظ من التقل ، وهذا التكرار

^١- ينظر الكشف ، ص

2- م . ن . ص . 33 .

^٣- ينظر الموضح 390 وما قبلها ، وينظر مسائل الانتقاد ، ص 191 .

2- التوازي 1 . 11 .

3- المصدر السابق . والأغان 21 / 39 ، وأخبار أبي تمام 67 .

ففي مدحه مع الجمع بين الحاء والهاء مرة ، وهما من حروف الحلق خارج عن حد الاعتدال نافر كل النفار " أورد هذا وهو بصدد نقد البيت الآتي : -

كريم متى امدحه والورى

معي ومتى ما لمته لمته وحدي (1)

وبعد ذلك يعرض أو يشير إلى مأخذ آخر من المآخذ التي حذر الشعراء من الوقوع فيها وهو ضرورة سلامة الشعر من عيوب القافية حرفا وحركة ، روى الصاحب عن أبي العميد " إن من انتقاد الشعر أن ينقد ما في القافية من حركة وحرف ، فقلت : كره سيدنا السناد في تغيير حركة الإشباع إذ جاءت فتحه وهي في سائر الأبيات كسرة ، فقال : ما أردت غيره "

جاء ذلك في معرض نقد البيت التالي : -

نعتبكم يا أم عمر بحبكم

إلا إنما المقلي من لا يعاتب (2) .

وقد عرض إلى هذه القضية نقدة عديدون كان في مقدمتهم ابن رشيق حيث أولى هذه القضية عناية فائقة ، فبسط القول فيها ، إذ عرض لمصطلحات هذه العيوب وفصل القول فيها فتناول كل جوانبها وحيثياتها ومنها الإقواء ، والأكفاء ، والإجازة ، والأجاره ، الاصراف ، السناد ، الايطاء ، التضمين " (2) .

ثم يعرض الصاحب لمسألة نقدية أخرى هي أن على الشاعر أن يعنى بحسن المطالع والمقاطع ، قال : وذكر أيده الله (يعني ابن العميد) يوما الشعر فقال : ان أول ما يحتاج فيه حسن المطالع والمقاطع حتى قال : وان فلانا أنشدني في يوم نوروز قصيدة أولها (بقبر) فتطيرت من افتتاحه بالقبور وتناضرت باليوم والشعر " (2) .

¹ - ينظر الكشاف عن مساوئ شعر المتنبي ص 34 .

2- م . ن ص 35 .

³ - المعدة 1 / 279 - 288 .

2- الكشاف عن مساوئ شعر المتنبي ص 35 . وينظر النقاد من الوقوع في هذا المآخذ المعب ، وبما جاء مثل هذا من فحج الاستنتاج

إن بعض الشعراء أشد بعض الأمراء في يوم المهرجان فقال : لائق بشرى ولكن بشريان . وجه من أهوى ووجه المهرجان "

فامر بإخراجه واستطار بانتتاحه وحرمة إحسانه " ينظر سر الفصاحة ص 175 ، والكامل 7 / 408 ، وينظر الصناعتين ،

ص 432 .

وثمة مسألة أخرى عرض لها هي أن أستاذه ابن العميد لم يكتف بإيراد وتبيان أسباب
الخلل العروضي بل عمد إلى إصلاح الوزن بإبدال لفظة بأخرى ،
وكان قول الشاعر : -

ولماذا تتبع النفس شيئا

جعل الله الفردوس منه جزاءا

فقلت هو كما قال سيدنا ان البيت من الخفيف وفيه زيادة سبب

فقال ننشده : -

جعل الله الخلد منه جزاءا⁽¹⁾

واخيرا ينهي صاحب هذا الجزء بحديث موجز عن الاختيارات الشعرية ، حيث
تحدث عن أحد الأنس التي تنتخب بموجبها الأشعار والتي استحسناها أستاذه ابن
العميد ، وهي أن تكون فريدة في بابها ، وتحدث أيضا عما استجاده أستاذه من
المختارات الشعرية قال " وبحسبك انه ذكر يوما أستاذنا ابن الخياط النحوي فقال :
أفادني في نقد الشعر فنا لم يكن عندي ، وذلك انه جاعني يوما باختبارات له ، فكنت
أرى المقطوعة بعد الأخرى لا تدخل في مرتضى الشعر فاعجب من إيراده لها
واختياره اياها ، فسألته عنها فقال : لم يقل في معناها غيرها فاخترتها لانفرادها في
بابها ، وذكر أيده الله اختيارات الشعر فقال : ليس فيها احسن من كتاب الحماسة ،
ولقد نظرت في الدواوين لأجد ما يلحق لكل باب منه ، فلم ار ما يستحق الإضافة
إليه ، قال : وخير الاختيارات بعد اختيارات المفضل بإسقاط قصيدتي المرقشى " ⁽²⁾

- ينظر الكشف ص 38 .

2- الكشف عن مساوي شعر المتنبي ص 39 - 40 .

المبحث الثاني

نقد خاص بما أخذه صاحب على المتنبي ومن ذلك سرقاته

كان نقد صاحب للمتنبي انطباعيا غلبت عليه روح الأديب ، وقد افنقد هذا النقد إلى المناقشة والتدليل والتعليل ، وهذا ما أشار إليه الدكتور مندور بقوله " ولذلك نرى صاحب ينقد بعض أبيات المتنبي بروح تغلب عليها السخرية ، ويقل فيها التعليل وتكاد تتعدم المناقشة " (1) .

ومما امتاز به بعد صاحب أيضا في هذا الجزء انه التزم بالمنهج التطبيقي بوجه عام ، إذ مثل لكل حالة ببيت أو بعدة أبيات ، وقد ترتب على هذا أن خلت الرسالة تقريبا من النقد الذي يقوم على الجانب النظري ، حيث مهد صاحب لهذا الجزء من رسالته بكلمة قصيرة عن مفهوم السرقة لديه خلت من البحث النظري في قضية السرقة ، إذ لم يحدد له أنواعا وتفرعات كما فعل بعض النقاد على نحو ما رأينا في التمهيد .

والحق أن أهم ما يسترعي انتباه الباحث هو اختلاف موقف صاحب من قضية السرقة عما ألفناه عند النقاد القدامى ، سواء كان المتشددون المتمثلون بالرواة واللغويين ، أم طبقة النقاد التي تلت هؤلاء في الزمن ، وهم من عرفوا بنظرتهم المتساهلة اتجاه هذه القضية - كما مر بنا - ذلك أن صاحب لم يقدّم نقده على أساس فني فحسب ، بل بناه على أساس أخلاقي أيضا ، قال : " فأما السرقة فما يعاب بها لأتفاق شعراء الجاهلية والإسلام عليها، وإنما يعاب أن يأخذ من الشعراء المحدثين كالبحتري وغيره ، جل المعاني ، ثم يقول لا أعرفهم ولم اسمع بهم ، ثم ينشد أشعارهم ، فيقول هذا شعر عليه أثر التوليد " (2) .

¹ - النقد النهجي ، ص 220 .

² - الكشف عن مساوئ شعر المتنبي ، ص 42 .

وهكذا يتجلى من النص وكأن صاحب لم يعد السرقة عيباً لأنه يرى بأن الشعراء لم يبرأوا من هذه التهمة ويمكن ان يستفاد منه أيضاً أن صاحب يؤاخذ المتنبّي ويوجه إليه سهام نقده لا من جهة اتهامه بسرقة شعر غيره ، وان كان يشير إلى ذلك صراحة ، بل من جهة اتهامه بالكذب حين يتجاهل الشعراء المحدثين وينكر معرفته بهم ، فضلاً عن توهينه لهم لتهوينهم ، فجريرة المتنبّي عند صاحب مركبه ، وتستند إلى ثلاثة عناصر : -

- الأخذ : " وانما يعاب انه يأخذ من الشعراء المحدثين كالبحتري وغيره جل المعاني " .

- الكذب : " ثم يقول لا اعرفهم ولم اسمع بهم ، ثم ينشد أشعارهم " .

- التوهين : " فيقول هذا شعر عليه أثر التوليد " (1) .

على أن هذه التهمة - تهمة سرق المتنبّي - قررها من قبل غير واحد من النقدة ، إذ قال بها الحاتمي وتبعه في ذلك أبو القاسم الأصفهاني ، قال الأول وكأنه في معرض امتحان للمتنبّي عن مأخذ الشعراء لبعض الأبيات وإذا يخبره انه مأخوذ من بيت فلان وبيت فلان هذا من بيت علان " يأتي اسم أبي تمام فإذا المتنبّي يصيح الجاهل أو المتجاهل له : ومن أبو تمام ؟ فيجيبه الحاتمي " الذي سرقت شعره فأنشدته : قال أقسمت غير محرج في قسمي إنني لم أقرأ شعرا قط لأبي تمامكم هذا ، فقلت هذه سوءة لو سترتها كان أولى : قال السوءة قراءة شعر مثله ، أليس هو الذي يقول : وهنا يذكر المتنبّي عدة أبيات لأبي تمام يراها ضعيفة سخيطة ، وتكون فرصة للحاتمي يذكر فيها المتنبّي فيقول : يا هذا من أول الدليل على أنك قرأت شعر هذه الرجل تتبعك مساويه " (2) .

¹ -الكنترا. عن مساوي شعر المتنبّي . ص42
2-الرسالة الموجهة لفلان عن النقدة المنهجي . ص196 .

درس علي ، وذكر انه رأى خط المتنبى وتصحيحه فيه " (1) .

وواضح أن هذه تهمة باطلة تحمل مناوعوا المتنبى على إصاقها به ، وقد ردها دارسون قدامى ومحدثون ، إذ قال الخالديان فيه " كان أبو الطيب المتنبى كثير الرواية ، جيد النقد ولقد حكى بعض من كان يحسده انه كان يضع من الشعراء المحدثين وبعض البلغاء المفلقين ، وربما قال أنشدوني لأبي تمامكم شيئا حتى اعرف منزلته من الشعر ، فتذاكرنا ليلة في مجلس سيف الدولة بميفارقين وهو معنا ، فأنشد أحدنا لمولانا أيده الله شعرا له قد ألم فيه بمعنى لأبي تمام استحسنة مولانا أدام الله تأييده - فأستجاده وأستعاده ، فقال أبو الطيب ، هذا يشبه قول أبي تمام وأتى بالبيت المأخوذ عنه المعنى ، فقلنا : قد سررنا لأبي تمام إذ عرفت شعره ، فقال : أو يجوز للأديب ألا يعرف أبي تمام وهو أستاذ كل من قال الشعر ؟ فقلنا قد قيل انك تقول انك كيت وكيت - فأنكر ذلك ، وما زال بعد ذلك إذا التقينا ينشدنا بدائع أبي تمام وكان يروي جميع شعره " (2) .

وقال الدكتور مندور في هذا " وهذا كلام واضح الاختلاف ، فالمتنبى لم يكن من الحمق بحيث يتجاهل أبا تمام ، ثم يأخذ في نقد أبياته ، وانما الأحق هو من كتب هذا الكلام سواء أكان الحاتمي أم غيره " (1) .

وبعد ذلك يعمد إلى عرض جملة مما عده من سقطات المتنبى ، ومن هنا فإن أول مأخذ يثبته صاحب في هذا القسم على المتنبى هو مسألة تفاوت الطبع ، قال : " فأول حديث المتنبى أن لا دليل أدل على تفاوت الطبع من جمع الإحسان والإساءة في بيت واحد كقوله = بليت بلى الأطلال أن لم أقف بها = وهذا كلام مستقيم لو لم يعقبه ويعاقبه بقوله = وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه = فإن الكلام إذا اكتشفت جيدة ووسطه وردئية ، وكان هذا من أرذل ما يقع لصبيان الشعراء وولدان الأدباء " (2) . وهنا نقول ، حقا أن المتنبى كان معجبا بذلته كما يستشف من شعره ، وكما تثبته

¹-إيضاح المشكل بقلا عن النقد النهجي ، ص

2-الصح ، ص 90 - 81 .

²- النقد النهجي ، ص 196 .

2-الكشف عن مساوي شعر المتنبى ، ص 43 .

الروايات التاريخية ، وربما ظهر اضطراب النقد أو ضعف السبك في شعره أحيانا ، ولكنه كان بعيدا في هذا البيت عن العجب أو الاضطراب أو الضعف ، لاسيما إذا ذكرنا أن الشطر الأخير لم يكن " وقوف لنيم ضاع في الترب خاتمه " بل " وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه " وهذا ما أشار إليه مندور .

ويؤخذ الناقد الشاعر على قضية أخرى وهي تعقيد الكلام ، كما في قوله : -

نحن من ضايق الزمان له فيـ
ك وخاتمه قربك الأيام (1)

وقوله في وصف فرس : -

وتسعدني في غمرة بعد غمرة

سبوح لها منها عليها شواهد (2)

وقوله : -

وأنت أبو الهيجا بن حمدان يا ابنه

تشابه مولود كريم ووالد

فحمدان حمدون وحمدون حارث

وحارث لقمان ولقمان راشد (3)

ومسألة تعقيد الكلام توقف عندها النقاد كثيرا إذ كانوا يمجون التعقيد ولا يسكتون

عليه " ويكره النقاد تعقيد الكلام في الشعر وتقديم آخره وتأخير أوله كقول الفرزدق

وما مثله في الناس إلا مملك
أبو أمه حي أبوه يقاربه (4)

1- الكسب عن مساوي شعر المتنبي ، ص 45 .

2- م . ن ، ص 52 .

3- م . ن ، ص 53 .

4- مسائل الانتقاد ، ص 188 .

ويعيب صاحب على المتنبى سوء الفاظه لغرابتها أو وحشيتها أو خشونتها ، ومن ذلك قوله : -

ايفطمه التوراب قبل فطامه

ويأكله قبل البلوغ إلى الأكل (1)

ومما اورده صاحب عن شعر المتنبى في هذا السياق قال : " ومن لغاته الشاذة وكلماته النادرة قوله : -

كل اخائه كرام بني الدنيا

ولكنه كريم الكرام (2)

على ان هذه القضية من القضايا التي لفتت انتباه النقاد ، فعملوا على معالجتها ، أو فتصدوا لها " ومما يعاب به الشعر ويتهجنه النقد خشونة حروف الكلمة كقول جرير : -

وتقول بوزع قد دببت على العصا هلا هزأت بغيرنا يابوزع

وهذا البيت في قصيدة من احلى قصائد جرير واملحها واجزلها وافصحها ، فتقلت القصيدة كلها بهذه اللفظة " (3)

ومن العيوب التي رصدها الناقد على شعر المتنبى قبح المعنى ، وكان ذلك

البيت الذي رثى فيه أم سيف الدولة : -

لا يحزن الله الأمير فأنني

سأخذ من حالاته بنصيب (٢)

وذكر مندور أن الحاتمي عاب هذا البيت من قبل ، وهو يعرض الى سوء مقابلة المتنبى لممدوحيه (2)

١ - الكشف عن مساوئ شعر المتنبى ص 49

2 - م. د. ص 49

3 - مسائل الانقاد ص 187 ، ولأين رشتين حول هذا الموضوع كلام جيد بحسن الربوع اليه في العمدة 121/2 .

٢ - الكشف عن مساوئ شعر المتنبى . ص 50 .

2 - بنظر النقد المنهجي ، ص 224 .

3 - الكشف عن مساوئ شعر المتنبى ، ص 50 .

ونحن نرى أن هذا المعنى ليس بغريب أو بعيد ، فما تضمنه البيت من معنى تقول به الخاصة فضلا عن العامة ، فهم يقولون أن ما أصابك أو وقع عليك قد أصابني أو وقع علي ، وهذا شكل من أشكال التخفيف والمواساة ، ومن ذلك أيضا قول المتنبي :
لعظمت حتى لو تكون أمانة

ماكان مؤتمناً بها جبرين

وقلب هذا اللام بالنون ابغض من وجه المنون ، هذا على ما في معنى البيت من الفساد والقبح " (3)

على أن اكبر نقد صاحب لشعر المتنبي انصب على افتتاحاته ، قال ومن افتتاحاته التي تفتح طرق الكرب وتغلق أبواب الروح قوله : -

أراع كذا كل الأنام همام

وسح له رسل الملوك غمام (1)

ومما جاء في هذا السياق وعابه عليه في الابتداءات ، ابتداءاته التي يقول عنها صاحب إنها تجمع مع استكراه الألفاظ وسقوط المعنى ، وقبح الصنعة وفساد الصيغة قوله : -

وما مطرتنيه من البيض والقنا

وروم العبدي هاطلات غمامه (2)

وقد دبح صاحب هذه المآخذ مشفوعة بعبارات التهكم لا من المتنبي فحسب بل من أنصاره أيضا حين قال : " ومن اوابده التي لا يشمع طول الدهر مثلها قوله في سيف الدولة : -

لأن كان بعض الناس سيفاً لدولة

ففي الناس بوقات لها وطبول

وهذا التحاذق منه كغزل العجائز قبحا ودلال الشيوخ سماجة " (3)

1- الكشف عن مساوئ شعر المتنبي ، ص 56 .

2- م . د . ص 57 .

وكان الحاتمي قد عرض إلى نقد هذا البيت أيضا قال " اهكذا تمدح الملوك ؟ " ونحن نعتقد أن الناقد لم يكن موفقا في نقده مثلما كان الشاعر موفقا في مدحه ، وقد أشار مندور إلى إخفاق الحاتمي في نقده بقوله : " فبيت المتنبي - فأن كان بعض الناس ... الخ " لا محل لتجريحه على أن يفهم منه أن من عدا سيف الدولة من أمراء ليسوا إلا بوقات وطبول ، وهذا مدح فيه ما يفخر به الملوك ، إذ المقابلة بين السيف من جهة والبوقات النابحة والطبول الخاوية من جهة أخرى فيها ما يسموا " بالسيف " ويظهر منهاهة من دونه " (١)

ومن ذلك أيضا قول الناقد فيما عده سقطات الشاعر " ومنها بيت قد حشا تضاعفه بالضعف وهو : -

ولا الضعف حتى يبلغ الضعف ضعفه

ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألف

وهؤلاء المتعصبون له لا يقبح عندهم ان ينقشوا هذا البيت على صدر الكعبة وينادي في الناس قعوا له ساجدين .

ويلاحظ على صاحب وهو يتكلم على سرقات المتنبي الجذر والتحفظ ، يدل على ذلك أولا : انه أورد الأبيات التي رأى أن المتنبي سرقها من غيره بطريقة الموازنة ، و لأنه ثانيا لم يستعمل لفظة (سرق) إلا في القليل النادر ، وانما استعاض عنها بألفاظ مخففة من قبل (أخذ) أو (اقتفى) أو (انه من قول فلان) ، وهو يشفع كلامه بعبارات الاستخفاف والتخفيف التي يطعن بها على الشاعر وعلى أنصاره من دون أن يقدم مسوغا لما يذهب إليه ، كما مر بنا وكما سيأتي .

ولما كان ما أورده في هذا الباب نذرا قليلا لم يحده هو نفسه فيه منقصة أو مثلية على شعر المتنبي ادعى أن من هذا الشيء الكثير في شعره ، وأنه سيكتفي بإيراد القليل لنلا يضجر القارئ (٢) ، ومما اورده صاحب في هذا السياق : -

^١ -الفرد النهدي . ص 191

^٢ - يعثر الكنتف عن مساوي شعر المتنبي .

2- الكنتف عن مساوي شعر المتنبي ، ص 65 .

عظمت فلما لم تكلم مهابة

تواضعت وهو العظم عظم من العظم

فما اكثر عظام هذا البيت ولو وقع عليه أبو الكلاب بجميع كلابه وهي جائعة لكان

لهم فيه قوت ، مع انه من قول حبيب بن أوس الطائي : -

تعظمت عن ذاك التعظم فيهم

و أوصاك نبيل القدر ان تتبلا " (2)

ويتراعى لنا أن هذا ليس من باب السرقة ، وانما من باب ما أسماه النقاد : -

(الأقوال السائرة)

ومنه أيضا : -

أنا عين المسود الجعجاج

هيجتني كلابهم بالنباح

ولا ادري أهذا البيت أشرف أم قول الفرزدق : -

إن الذي سمك السما بنى لنا

بيتا دعائمه اعز وأطول

بيت زرارة معتب بفنائمه

ومجاشع وأبو الفوارس نهشل (1)

ويمكن أن يرد هذا إلى التقاليد الشعرية بدلا من أن يرد إلى السرقة .

ويورد صاحب بيتا آخر للمتنبى يرى انه أخذه عن أبي تمام ، قال المتنبى : -

ألا يشب فلقد شابت له كبر

شيبا إذا خضبتة سلوة نصلا

وقال ابو تمام : -

¹ - الكشف عن مساوي شعر المتنبى ، ص 66 .

² - المصدر السابق ، ص .

شاب رأسي وما رأيت مشيب الر

أس إلا من فضل شيب الفؤاد (2)

ولعل هذا اقرب الى الشعرية منه الى السرقة .

واشتملت الرسالة على بيت آخر يقرر الصاحب ان المتتبي أخذته عن الخليل

قال الخليل : -

لكن جهلت مقالتي فعذلتني

وعلمت انك جاهل فعذرتك

فاقتناه شاعرنا هذا ، وغير في قفاه : -

ومن جاهل بي وهو يجهل جهله

ويجهل علمي انه بي جاهل⁽¹⁾

ويمكن أن يدخل هذان البيتان في باب اتفاق المعنى لا في باب السرقة .

واخيرا يمكن القول أن القارئ العادي لهذه الرسالة لا الدارس المتأنى المتأمل لها ،

يمكن ان يصل ببسر وسهولة إلى نتيجة مفادها إلى أن الأحكام النقدية للصاحب بن

عباد على شعر المتتبي تفتقر في كثير من الأحيان إلى المسوغ العلمي او الفني ، بل

بنيت على غير قليل من التجريح والتحمل والهوى ، لاسيما إذا وضعنا نصب أعيننا

الدوافع الشخصية التي كانت من وراء وضع هذه الرسالة ، ولعل فيما قاله أبو

العباس المبرد ما يقربنا كثيرا من هذا المعنى

ومن طلب مخرجا لم يفتنه

من طلب عيبا وجده

- الكشف عن مساوئ شعر المتتبي ، ص

الخاتمة

- توصلت الدراسة إلى نتائج عديدة ، ولعل من أهمها ما يأتي : -
- 1 - أن تغيير المفاهيم أو تطويرها من عصر إلى عصر هو سنة من سنن الحياة ، لاسيما في مجالات الإبداع ، ولاريب فان السرقة من هذه المفاهيم .
 - 2 - اختلف النقاد في نظرتهم الى الاشياء ، لابل ان بعض النقاد قد تتغير آراؤهم من وقت لآخر او من ظرف لآخر .
 - 3 - ركز صاحب في درسه النقدي على مسألتين ، الأولى تتصل بالشروط التي يجب أن يتوفر عليها الناقد ، والثانية تقوم على ذكر العيوب والمآخذ التي على الشاعر أن يتفادها ومنها العيوب العروضية والنحوية ، وتقعيد الكلام وسوء الافتتاحيات وخشونة اللفظ وقبح أو سوء المعنى .
 - 4 - كان نقد صاحب لشعر المتنبي في الغالب انطباعيا ، فلم يلجأ فيه الناقد إلى التعليل والتدليل والتحليل ، فضلا عن اتصاف هذا النقد بعدم الموضوعية والإنصاف ، إذ تحيف صاحب أو اعتسف كثيرا في نقده لشعر المتنبي .
 - 5 - انقسم الناس وفي مقدمتهم النقاد في المتنبي كما لم ينقسموا في شاعر آخر ، فكان له خصوم وأشباع .
 - 6 - لم يعرض صاحب إلى ذكر ما يستحسن من الشعراء ، شأنه في ذلك شأن النقاد الآخرين ، لانهم يرون بتنبههم الشعراء على ما يجب أن يتفادوه من العيوب والسقطات الشعرية ، فأن في ذلك ما يكفي لاستقامته أو تجويد شعرهم ، وتحقيق الجودة فيها .
 - 7 - أن كثيرا من القضايا والمسائل النقدية التي عرض لها صاحب ، كان قد تناولها نقاد آخرون قبله وبعده من أمثال الحاتمي والثعالبي والمرزباني والأمدي والجرجاني وابن رشيق وغيرهم .

قائمة المصادر والمراجع .

- 1 - ابو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية - بدوي طبانة ، الطبعة الثالثة ، بيروت - دار الثقافة ، 1981 .
- 2 - الأغاني : الاصفهاني ، ط دار الكتب ، والتكملة ط الهيئة المصرية و ط دار الشعب .
- 3 - ايضاح المشكل ، لابي القاسم الاصفهاني .
- 4 - تاريخ النقد الادبي عند العرب - نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري ، د : إحسان عباس ، دار الشروق للنشر ، الأردن ، عمان .
- 5 - الحيوان : الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، 1938 م .
- 6 - الرسالة الموضحة ، الحاتمي ، تحقيق د . محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت .
- 7 - الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، أبو محمد بن عبد الله بن مسلم (ت 276 هـ) تحقيق د . مفيد قميحة ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1985 .
- 8 - الصبح المنبي ، للبديعي ، القاهرة ، 1963 .
- 9 - الصناعتين " العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت 395 هـ) تحقيق محمد علي البجاوي محمد أبي الفضل إبراهيم ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه
- 10 - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الرابعة ، دار الجيل للطبع ، بيروت ، 1972 .
- 11 - عيار الشعر : ابن طباطبا العلوي ، محمد بن احمد (ت 322 هـ) تحقيق د . طه الجاهري و د . محمد زغلول سلام ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، 1956 .
- 12 - الكشف عن مساوئ شعر المتنبي ، تأليف صاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، مكتبة النهضة ، بغداد .

- 13 - مسائل الانتقاد : ابن شرف القيرواني ، تحقيق د . النبوي عبد الواحد شعلان ،
كلية الدراسات الإسلامية ، جامعة الأزهر - مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية
بمصر ، القاهرة .
- 14 - مقامة مسائل الانتقاد : رسالة ماجستير ، داود سلمان جواد ، كلية الآداب ،
الجامعة المستنصرية .
- 15 - الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري : الأمدى ، الحسن بن بشر (ت 370
هـ) دار المعارف ، القاهرة ، 1961 م .
- 16 - الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء ، المرزباني ، ت محمد علي البجاوي
، دار نهضة مصر ، القاهرة ، 1965 م .
- 17 - النقد الأدبي في العصر المملوكي ، عبدة عبد العزيز قلقيلة ، القاهرة ، المطبعة
الفنية الحديثة ، 1972 م .
- 18 - النقد المنهجي عند العرب : د . محمد مندور ، دار نهضة مصر للطبع و
النشر ، الفجالة القاهرة .
- 19 - الوساطة : الجرجاني ، تحقيق ، محمد أبي الفضل ابراهيم ومحمد علي
البجاوي ، الطبعة الرابعة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، القاهرة ، 1966
- 20 - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر : الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك
(ت 429 هـ) تحقيق د . مفيد محمد قميحة ، الطبعة الأولى ، دار الكتب
العلمية ، بيروت ، 1983 .

مفهوم السرقة عند الصاحب بن عباد

بحث تقدم به
داود سلمان جواد
مدرس مساعد في وحدة اللغة العربية
كلية اللغات / جامعة بغداد